منهن ومنهن

للأستاذ عبد القادر المغربي
وكيل المجمع العلمي العربي بدمشق

(وإن من النسوان من هي روضة
تهيج الرياضُ دونها وتَصَوَّح)
(ومنهن غُلٌّ مقفل لا يفكه
من الناس إلا الأحوزيّ الصَّلَنْقَحُ)

يقول حكيم العرب: «إن النساء مختلفات في طباعهن وأمزجتهن وغرائز نفوسهن»:

فمنهن امرأة حسنة السجايا طيبة الأخلاق، تشبه الروضة فيما اشتملت عليه من خضرة وزهر، وطيب ماء، ورقة هواء. بل ان الرياض الحقيقية ذات الخضرة والنضرة، قد (تهيج) أي يصفر نباتها و (تَتَصَوَّح) أي تيبس أو تذبل أوراقها. أما تلك المرأة فهي روضة لا تهيج ولا تتصوّح، وانما تبقى ناضرة الخضرة، طيبة الشذا طول حياتها.

هذه واحدة من النساء ياسعادة مجتمعها بها.

ومنهن واحدة أخرى وصفها الشاعر في البيت الثاني بأنها كالغُلّ. وهو القيد المقفل أي المشدود على عنق الرجل أو يديه، يمنعه الحركة ولا يقدر على فكه إلا (الأحوزيُّ الصَّلَنْقَحُ)

(الأحوزي) الحاذق في السَّوق، الذي يعرف كيف يسوق الدابة ويحملها على السرعة في السير. فبينا ترى غيره يقطع بها مسافة عشرة أيام تراه هو يقطع بها ثلاثة أيام. وذلك لأنه (صَلَنْقَح) أي صيّاح شديد الصوت. (وصَلَنْقَح) كلمة غريبة وثقيلة على السمع، غير أنها قد تروج لدى القارىء المنصف مذ يرى المقام يقتضيها، والسياق يواتيها، والقافية تناديها.

ووَصْفُ امرأة السوء بالغُلّ معهود عند العرب، ومنه قولهم: (هي غلٌّ قَمِل. وجرح لا يندمل) ومعنى (قَمِل) أن الغُلّ أحياناً يكون من جلد غير مدبوغ ويكون على الأسير الذي يدوم أسره ويطول عهده بالاغتسال فيتسخ بدنه ويعشش القمل في غله ويأخذ يرعى في تجاليده فيؤذيه ويمنعه طيب المنام وهكذا حال امرأة السوء في البيت الذي تعيش فيه.

***

قد يعترض معترض على البيت الثاني بأن فيه إحالة، ومعنى (الاحالة) في اصطلاح علماء النقد الأدبي أن يكون الكلام معدولا به عن وجه الصواب

وهنا قد شبه الشاعر امرأة السوء بالغل الموثق المحكم الشد. ثم قال انه لا يفك هذا الغل الا سائق صياح شديد الصوت

ولكن هل من عادة القيود المحكمة الشدّ أن تفك وتُحلّ عُقَدُها بكثرة الصياح والجلَبة؟

ربما كان في هذا الاعتراض شيء من الحق. فماذا كان يجب أن يقال اذن؟

كان ينبغي أن يقال في البيت الثاني هكذا:

(ومنهن مُهر شامسٌ لا يروضه
من الناس الا الأحوذيُّ الصلنقح)

فيكون المعنى أن من النساء من تكون كالمهر الشامس (أي الشَمُوس) الذي يكثر شروده ولا يقدر على ترويضه وتليين شكيمته إلا الرجل الذي يعرف كيف يسوسه ويؤدبه بالانتهار ورفع الصوت والصَخَب عليه.

فتقول: ولكن كلمة (شامس) غير مأنوسة الاستعمال والمعروف (شَمُوس) فماذا يمكن أن يحلّ محلّها من كلمات اللغة؟

أقول يمكن أن يقال في البيت هكذا:

(ومنهن مُهر كَوْسَجٌ لا يروضه... الخ.

و (الكوسج) من الخيل: الفرس الذي تريده على السير فلا يسير حتى تضربه.

فيقول القارىء معنى (الكوسج) حسن. ولكن لفظه اشتهر في معنى خفة شعر اللحية فلا أرى استعماله هنا. هات كلمة سواها يا استاذ.

فأقول ها كها:

ومنهن مهر خارط لا يروضه... الخ.

و (الخارط) الفرس الذى يجذب رسنه من يد ممسكه ثم يفلت شاردا لايلوى على شىء .

ومثل (الخارط) الخَرُوط .

ولذلك تسمى المرأة الفاجرة التى جذبت رسنها من يد أسرتها (خروط)

يقول القارىء : وكلمة (خارط) أيضا قبيحة اللفظ وكفى (بالخرط) قبحا .

على أن استقباح القارىء لكلمة (خارط فى غير محله . وليس معه حقّ فيه : إذ كيف يستثقل كلمة (خارط) وهذه كلمة (خارطة) بمعنى الاطلس الجغرافى يتلفظ بها كثيراً . ويسمعها من صبيانه وبناته وهم يدرسون فى بيته ، ومن سائر التلامذة وأساتذتهم يقولونها عشرات من المرات فى اليوم - كل هذا لاتستثقل معه أيها القارىء الكريم كلمة (خارطة) وتقوم الآن فتستثقل كلمة (خارط) وتتشاءم بها ! !

ومع هذا فدونك كلمةً رابعة وهى :

(ومنهن مهرٌ ضاغِنٌ لا يروضه الخ .

ومعنى (الضاغن) الفرس الذى لا يُعطى كل ماعنده من الجرى حتى يُضرب ، أو هو الفرس الذى إذا مشى كان كأنه يرجع القهقرى . ويمشى الى الوراء .

وقبل أن يبادرنى القارىء بالتأفف من كلمة (ضاغن) أذكره بالأسرة اللغوية التى تنتمى اليها كلمة (ضاغن) — ولو لفظاً — :

فان تلك الأسرة وجميع سلالتها مقيمةٌ بيننا محبّبة الينا . شائعة على ألسنتنا :

فالضغن أُمّ الأسرة ومن نسلها (الاضغان) و (الضغينة) و (الضغائن) و (تَضَاغَنَ) القوم و (اضطغَنَ) فلان على فلان

فهل بعد هذا يصح للقارىء أن يتجهّم لكلمة (ضاغن) ويدّعى غرابتها . ويطلب أن يستبدل بها سواها ؟

دمشق — المغربى

فى الأدب المصرى القديم

ملخص فصل من كتاب

(النيل والحضارة المصرية)

للأستاذ (آ . موريه)

كان المصريون أصحاب ألسنة لاتعرف الملل فى نطق ، على ان ماجاءنا من آثارهم الادبية هو ثروة قليلة بالنسبة الى ثمار شعب يحكى عنه منذ اربعة آلاف عام ، وفى هذه الاعمار التاريخية قامت مآثر أدبية تختلف صفاتها الاجتماعية والطبيعية . والادب كما هو فى مصر وغير مصر - مرآة تتمثل فيها الحياة الاجتماعية

نشأت المآثر الاولى فى « الدولة القديمة » مصحوبة بأدب دينى صرف مقيد بتعاليم الكهنة ، وهذا الادب هو النصوص الجليلة والآثار المعروفة « بموضوعات الاهرام » والتى تحفظ كثيرا من التاريخ القديم ، والديانة القديمة ، والحركة العقلية القديمة ، والجزء الثانى منها هو عبارة عن نصوص منقوشة على حجارة ، وحكم هذا الادب حكم الزخرفة وبقية الفنون ، لم يكن المراد منه الا تزيين الهياكل والقبور ، ومن الواجب ان يكون خاضعا حتى فى مظهره الخارجى لهيئة العمارة ، وفى قبور (ممفيس) فصول شعبية لايتلاءم اسلوبها الحرمع الطقوس والتقاليد ، وهذه النصول الخرافية تطلعنا على اللهجة العامية ؛ بل تكاد توحى لنا عن نفسية الشعب . . .

هذه أغنية قديمة للراعى الذى يسوق قطيعه بين اتلاع الارض ناثراً بذوره

« الراعى هو فى الماء مع الاسماك يتناجى مع (صنف من السمك) ويتبادل التحيات مع (صنف من السمك) يامغرب ! من أين جاء الراعى ؟ انه من بلاد المغرب »

وهنالك مقطوعة مرفوعة لأوزيريس الملقى فى النهر . وقد هشمته الأسماك ، وأجزاؤه المتناثرة على الارض قد أخصبت تلاع الارض . والذين يحملون - على أكتافهم - الأسياد الضخام ؛ يخففون من أتعابهم بانشادهم .

« ان حاملى الهودج هم فى سرور

ولأن يكون الهودج ملآن خير من ان يكون فارغاً »